الى روح أبي العلاء

رهين المحبسين

خلدتَ رهينَ المحبسين وإنما ... لأمثالك الأفذاذ قد كتب الخلدُ

وقد كنت فرداً في صفاتك واحداً ... وما هي إلاّ الفضل والعلم والمجد

وجاهدت في دنياك ترجو ملاحها ... وما لمرئ الدنيا جهادك والجهد

دعوت الى نبذ الجمود وإنه ... لأدواه من يحيا به الغل والقيد

فشنوك جبلاً للضلالة داعياً ... والحقّ هدّاماً معاوله الجحد

وكم عند أحرار الورى لك من يدٍ ... هي الشعلة الوهاجة النور والوقد

بها هتفوا يستنهضون ولم يكن ... سوى حتك أستار الظلام لهم قصد

سرتْ لك في الدنيا وأشرق نورها ... مآثر علم ما لها أبداً عد

تزيد على مرّ السنين فنارةٌ ... وتقوى على كرّ الدهور وتشتدُّ

خلامة فكر ثاقب وعصارة ... لقلب نجيب ملؤه العطف والود

وصرت مجال البحث فيها فطائعٌ ... عليك ومنْ رأيه الشكر والحمد

فقال أناسٌ إنها الكفر والغوى ... وقال أناس إنها الدين والرشد

وقيل غدا شيخ المعرة كافراً ! ... وقيل تقيٌّ ما له في التقى ند

فحسبك في هذا التباين رفعة ... بها كل ذي عقل من الناس يُعتد

وما أنت إلاّ مصلح ثار عقله ... لتحطيم ما للعقل في أخذه حد

وأغضبت في قول الحقيقة معشراً ... تثيل عليهم أن يقول الهدى فرد

أولئك قومٌ حاربوا العلم جهرةً ... فحاربتهم والضد يوضح الضد
لقد زعموا هدي الأنام ورشدهم ... ولكنهم فقهوا الأذى ولم يهدوا
قليلٌ إذا نردوا الى العلم والهدى ... كثيرٌ لدى جمع الحطام إذا عدوا
إذا وعدوا خلوا بما وعدوا به ... وإن عاهدوا لم يُرْعَ منهم عهد

* * *

على صدر هذا الدهر منك قلائدٌ ... وفي جيده من درّ ما نظمته عقد
فتلك (الروميات) زخر بالنهى ... وكم خلب الألباب في سمطه الزند
سما بك قدرٌ دونه البدر رفعةً ... وخلّد ذكرٌ ليس يدركه فقد
ملكت حنانًا وانصرفت عن القلى ... ولم يك في جنبيك نحو ذرىً حقد
زهدت بذي الدنيا وعفت نعيمها ... ولولا شقاها ما حلا لك ذا الزهد
وقلت كما قال الضأن للذبح عنوةً ... وقصراً وتحتي في مرابضها الأسد
وليس الذي يشتار شهداً بعادل ... من النحل ، بل للنحل تدخلق الشهد
بقيت حصوراً لست ترضاك والداً ... تذلّ وتشقى في جنايته الزلد
وعشت ولم تشغل بمال وعترة ... وكان سواء عندك النعمى والسعد
ومتّ وما ماتت مآثرك التي ... لها وغم أنف الدهر قد كتب الخلد

البصرة — فاظم مكي حسن